مينو تير براك

النازية كعقيدة حقد

ترجمة: مصطفى عبد الظاهر

صفصافة
SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

النازية كعقيدة حقد

مينو تير براك
ترجمة: مصطفى عبد الظاهر
مصطفى عبد الظاهر/ باحث وكاتب ومترجم متخصص في العلوم الاجتماعية، عمل كمدير لتحرير مجلة *مرايا* غير الدورية (٢٠١٧-٢٠١٩)؛ صدرت له عدة كتب كمؤلف مشارك ومحرر مثل *اختراع الأمة* (٢٠١٧)، *ثورة ١٩١٩ بعد ١٠٠ عام* (٢٠١٩)، وترجم العديد من الأبحاث والدراسات وكذلك كتاب *مُساءلة العلمانية: السياسة والسيادة وحكم القانون في مصر الحديثة* تأليف حسين علي عجرمة (٢٠١٨).

****

طبعة ٢٠٢١
رقم الإيـــداع: ١٥٩٦١/٢٠٢٠
الترقيم الدولي: ٥-١٦٦-٨٢١-٩٧٧-٩٧٨

****

جميع الحقوق محفوظة ©
عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.
No part of this book may be reproduced or utilized in any from or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

الناشر: محمد البعلي
إخراج فني :علاء النويهي
الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبِّر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.
This is a full translation for the book: National Socialism as a Doctrine of Rancour (١٩٣٧) by Menno ter Braak
This publication has been made possible with financial support from the Dutch Foundation for Literature.
تمت ترجمة هذا العمل بدعم من المؤسسة الهولندية للآداب

Nederlands letterenfonds
dutch foundation for literature

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET
elbaaly@gmail.com

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
5 ش المسجد الأقصى – من ش المنشية – الجيزة – ج م ع.

تقديم

قبل نحو ثمانين عامًا شكل صعود النازية (باعتبارها أقصى أشكال اليمين الفاشي تطرفًا) تحديًا كبيرًا للمثقفين الأوروبيين خاصة التقدميين منهم، وهو التحدي الذي يتكرر الآن مع صعود اليمين المتطرف في أوروبا، وقد تعددت استجابات المثقفين لذلك التحدي، وكان من بين الاستجابات إنتاج مجموعة من النصوص والتحليلات الهامة التي قامت بتفكيك الفاشية والكشف عن مكوناتها وتناقضاتها.

لم يكتفِ المثقفون -في النصف الأول من القرن العشرين- بكتابة البيانات والكتب ضد الفاشية والنازية، بل شكلوا العديد من الجبهات والمنظمات التي عملت بقوة لوقف الزحف الفاشي، وكان من بين المشاركين النشطين في هذه الأنشطة الهولندي *مينو تير براك*، والذي كان كاتبًا وناقدًا أكسبه ذكاؤه الفني لقب *ضمير الأدب الهولندي*؛ شارك تير براك في تأسيس *لجنة تحذير المثقفين من النازية*، وظل يساهم في النشاطات المناهضة للنازية حتى احتل جيش الرايخ الثالث بلاده عام 1940، فانتحر احتجاجًا –في ما يبدو- على استسلام حكومة بلاده للنازي.

ويمثل استعادة نص المفكر الهولندي *مينو تير براك* -والذي يترجم لأول مرة إلى العربية- جزءًا من الجهد المبذول لإعادة الكتابات المناهضة للفاشية والنازية إلى محور النقاش خاصة في عصر تجدد خطر اليمين المتطرف، ويتميز نص تير براك عن أغلب تحليلات الفاشية والتي اعتمدت على الماركسية كمدخل لفهم الفاشية -مثل كتابات المفكر والسياسي الروسي ليون تروتسكي- بتأثره عميق التأثر بالفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه، ويستخدم تير براك مفاهيم *الحقد* و *الضغينة* لدى نيتشه لفهم النازية والفاشية.

لقي هذا النص -الذي نشر في شكل كتيب وقت صدوره- نجاحًا كبيرًا وأعيدت طباعته مرات، من بينها مرة خلال السنوات القليلة الماضية، كما تمت ترجمته من الهولندية إلى الإنجليزية بواسطة روبرت فان كريكن، وهو بروفيسور في علم الاجتماع بجامعة سيدني؛ وهي الترجمة التي اعتمد عليها مترجم النص إلى العربية، وتجدر الإشارة إلى أن المترجم سعى جاهدًا للحفاظ على مستوى اللغة في هذا العمل عند نقله للعربية، كما حرص على شرح المصطلحات العديدة في الكتاب وتوضيح السياقات التاريخية للفقرات ذات الطبيعة الجدالية، ونأمل أن تكون الهوامش والإحالات مفيدة لفهم النص.

وتزداد أهمية قراءة النص حاليًا مع تنامي تهديدات اليمين الشعبوي للديمقراطية في الغرب، حيث نرى قادة حزبيين وحتى رؤساء منتخبين يستهزئون بالمثل الديمقراطية ويرغبون في هدمها.. تمامًا مثلما حدث في النصف الأول من القرن العشرين.

والآن.. في عالم يسوّق فيه القادة الشعبويون أنفسهم مرة أخرى على أنهم حراس للديمقراطية، وحيث تلعب الأحزاب السياسية اليمينية على مشاعر الكراهية والغضب، فإن أوجه التشابه المذهلة والأهمية المستمرة لتشخيص تير براك الواضح للفاشية تجعل قراءة هذا النص ضرورية لأي شخص يتطلع إلى فهم المناخ السياسي العالمي اليوم.

الناشر

مدخل[1]

وضع الكاتب الحداثي الهولندي مينو تير براك هذا الكُتيّب عام 1937 قُبيل الاجتياح الألماني لهولندا، وهو فحص نادر المثال لكيفية استخدام مفهوم *الضغينة* لفهم القومية الاشتراكية *النازية-م*[2]؛ إذ يسلِّط الضوءَ على الضغينة التي تحملها الفاشية، وكيف لها أن تكون متميزة، ومرتبطة بنسخها الديمقراطية والاشتراكية في آن. ويركز هذا المقال على تطوير فهم كل من *فريدريك* نيتشه و*ماكس* شيلر[3] لمفهوم الضغينة عبر تطبيقه على الفاشية، والتأكيد على مركزية الضغينة كشعور أخلاقي، ليس فقط بالنسبة للشعبوية، وإنما لكافة أشكال الديمقراطية، ولأي توجه، فلسفيًا كان أم سياسيًا، مبني على مُثُل المساواة، مما يمتد بالفعل ليشمل كافة ثقافات المجتمع المعاصر وسياساته.

هؤلاء الذين يملكون قلوبًا وعقولًا لابد وأن يكونوا ساخطين
أنطوان موشيرت (٢٦ إبريل ١٩٣٧)
***يا للإنسان، هذا الوحش التعس، المختل ...**
كل أفكاره ونطاعته
وذروة هراءه
ووحشية خلده
تنفجر ما إن مُنِع -للحظة- من أن يكون وحشًا حقيقيًا*
نيتشه.

1 مقدمة روبرت فان كريكن، وهو أستاذ في علم الاجتماع بجامعة سيدني، لترجمته للمقال عن الهولندية في: ter Braak, Menno. *National Socialism as a Doctrine of Rancour*.(١٩٣٧) Theory, Culture & Society, vol. ٣٦, no. ٣, May ٢٠١٩, pp. ١٠٥–١٢٠, doi:١٠.١١٧٧/٠٢٦٣٢٧٦٤١٨٨٠٦٥٦٨.

2 كل ما بين معقوفين *هكذا*، في المتن والهامش، هو من إضافة المُترجم. فيما يلي من الكتاب سيتم ترجمة *National Socialism* بكلمة *النازية*.

3 يمكن العودة بخصوص فلسفة ماكس شيلر إلى دراسة مبسطة كتبها الفيلسوف المصري عبد الغفار مكاوي، بعنوان *العقل على عرش العالم* ضمن كتابه: *تجارب فلسفية*، أكثر من نشرة.

النازية كعقيدة حقد

ما زلت أذكُرُ بوضوح الجواب الذي تلقيته، منذ سنوات قليلة، على سؤال عشوائي في محادثة عشوائية، سألتُ: * هل تظن أن النازية تُمثِّل خطرًا حقيقيًا على هولندا؟* فأجابني:* بالطبع لا يا سيدي، النازيون ليسوا سوى حفنة من الحمقى!* ما زلت أذكر ما تركت هذه الصيغةُ في نفسي من عظيم الأثر، ليس لأن فيها شيئًا من الصحة، بل بسبب النبرة الأنيقة-المتعجرفة التي كستها، وكأن ما قد سألتُ عنه محض تفاهة لا يريد الرجل الفاضل صاحب الخلق الرفيع، الذي يُمثل حضارة لا يمكن أن توضع موضع الشك، أن يتجشم عناء سماعها.

حفنة من الحمقى.. الصبر طيب.. لكن إلى أي مدى تبلغ قوة هذه *الحفنة*؟ هل يمكن ألا تكون *حفنة*، بل جيشًا؟ أليسوا *قادة* *انتفاضة الجماهير*؟ ألا يمكن أن يكون الأحمق المهزوم، الذي لا يريد أن يُقِر بهزيمته، رمزًا لعقلية تمتد فيما وراء هزائمه، ولا يُمكن، بالطبع، تجاهله بمجرد العجرفة؟ هذه اللامبالاة المُهلكة المنتشرة بين من يُسمّون المثقفين، الذين ينتمي إليهم هذا الدبلوماسي *الذي أجابني*، وهذه الثقة الهانئة في أن المرء ليس فردًا ضمن *حشد*[4] وأن هذه *الظواهر الكارثية* سوف تمر إذا ما تحسن الظرف الاقتصادي؛ الأمر نفسه الذي تسبب جزئيًا في أن هذه الحفنة من الحمقى الخاسرين لم تلق أي معارضة تذكر من هؤلاء المثقفين أنفسهم. تمامًا كما انهار المثقفون الألمان عام 1933 سينهار مثقفو هولندا (وأيًا من سيتم ذكره هنا، إذ يصعب تحديد تخوم المصطلح بدقة) إذا ما ملك الحمقى زمام السلطة، سواء عبر الاقتراع العام أو الانقلاب العسكري، فكلاهما ملائم لتحويل الحمقى إلى طُغاة؛ سواء راق الأمر المثقفين المستنكفين أم ساءهم.

لكنني، باعتبارِ ما، يمكن أن أُقِرَ مقولة هذا الدبلوماسي: الحركة النازية حركة حمقى؛ لأنها حركةٌ تنهل من *الحقد*، أو قل إن شئت: من *الضغينة*[5]، وهما مصطلحان يحملان نفس المعنى تقريبًا، لكن نادرًا ما قُدر معناهما الثقافي حق قدره. لكن هل هذا الحقد حكر على النازية؟ هل يميل الخاسر، بأوسع ما للكلمة من معنى، بطبيعته، للنازية؟ من أين يأتي الحقدُ الذي يملأ مستنقع أنطوان موشيرت[6] الموحل؟ لا يمكن الإجابة على هذه الأسئلة بحال إذا ما اهتدينا بقول الدبلوماسي المذكور آنفًا، ونظرنا إلى الخاسرين على أنهم مجرد *حفنة*، وبالتالي نظرنا إلى حقدهم، الذي هو أساس وجودهم، على أنه ظاهرة استثنائية. إن الحقد بالتأكيد هو أحد أكثر المكونات حضورًا في ثقافتنا الحديثة، لا انفكاك لها عنه. الحقد متغلغل في كل شيء، وكان من قبيل *خطأ المنظور* أن نعتبر القرن التاسع عشر هو قرن التوسع في *التعليم العام* متجاهلين ما كان على الأقل تطورًا مصاحبًا لا يقل أهمية، ألا وهو *الضغينة*. وكلما نُظرنا إلى امتلاك الثقافة كحق تحولت المسافة بين هذا الحق في كل شيء، وبين الامتلاك الواقعي لأي شيء إلى ظلم، لكنه ظلم يصعب اقتفاء جذوره، لأنه لا يمكن للمرء أن يعرف مصدر هذا الحق في الثقافة، فالخاسر، *المُضطغن*، لا يعرف إلا أنه لا يمكنه التسامح مع من هو أكثر منه تملُّكا، إنه ليحرق قلبه أن يرى امتيازًا للآخرين، ويمتلئ غلًا؛ لأنه، على الأقل، يجد في هذا الغل لذة السخط الدائم، ويشحذ فكرة الانتقام من أجل الانتقام كعبارة الفنانين *الفن من أجل الفن*، ومن أخص خصائص رغبته في الانتقام أن نفاذها لا يهبه أي شعور يذكر بالرضا، بل على العكس، إن فقدان الخاسر حدَّته وغضبه تعني فقدانه مصيره، خاسر مغلول، يبحث عن أشياء أخرى ليبث فيها سُمه، إلى أن يصبح مثل هتلر، منتشيًا ومشدوهًا بمُثُل

ضغينته.
ولذلك لا يمكننا أن نعتبر الحقد وضعًا استثنائيًا في ثقافة مثل ثقافتنا التي تميل إلى إقرار حقوق متساوية لكل أحد. تلك المساواة – مع الأخذ في الاعتبار استحالة المساواة البيولوجية والاجتماعية بين البشر- هي ما يرقى بالحقد إلى نظام أولي للمجتمع؛ لأن كل من لا ينعم بالمساواة مع الآخر، وبينما يتمنى أن ينعم بالمساواة، لا يتم التعامل معه في المجتمع على أساس موضعه في **طائفة** أو **طبقة**، بل كأنه يُتوّج بجائزة! إن سعيه للمساواة يُرى نظريًا على أنه مُبرر وعادل، حتى من أولئك الذين لن يفكروا للحظة في أن يفعلوا شيئًا واقعيًا في سبيل تحقيق أي مساواة قد تنقص من امتيازاتهم! هذا هو التناقض الأعظم للمجتمع الديمقراطي، الذي لا يكتفي بوجود الحقد، بل يعامله على أنه حق من حقوق الإنسان!
على أي أحد يريد أن يتعامل مع الحقد ومع الخاسرين أن يتعامل أولًا مع انتشار مُثُل المساواة، وبالتالي مع انتشار الحقد. يُمكن للمرء، بسهولة، أن يتصور أشكالًا من المجتمعات يقتصر فيها الحقد على التعبيرات الرسمية؛ لأن أثره سينحسر فورًا من خلال النظام الطائفي أو الطبقي[7]. يُمكن للمرء أن يتصور مجتمعًا يُضفي على اللامساواة طابع القداسة أو التابو، ويعتبر المساواة انتهاكًا للنظام *الحق*، لكن في المجتمع الديمقراطي لا وجود لنظام طائفي أو طبقي، ليس سوى أطلال متبقية من النظام الفئوي المسيحي في العصور الوسطى، وهو يُستنفد يوميًا بالضغينة، الضغينة *المحضة* على وجه التحديد، كالتي تتجلى في النازية؛ وكالتي يصورها أحد أعداد جريدة الضغينة *الشعب وأرض الآباء*[8]، إذ ترسم صورة لمزارع يقف بجوار *كونت ميرشا وأنسمبورج*[9] كتفًا في كتف تحت عنوان *قيمة واحدة توحد بين المزارع والكونت*. في لغة هؤلاء الناس، هذه القيمة هي *الشعب*، لكن لا يوحد بين *الرفيقين* اللذين يحتضنان بعضهما البعض على الصفحة الأولى في الواقع إلا الضغينة، إذ تتحول إلى رومانسية فارغة. إن الحقد لا يعرف فرق المكانة ما دام المزارع والكونت لا يقفان حيث يرجوان، وهما على قلب رجل واحد في مناصبة العداء لـ*موسكو*! هذا لا يعني أن الكونت سيأخذ عقيدة *الجماعة الوطنية* Volksgemeinschaft[10] بجدية ويتنازل عن مكانته ويصبح مزارعًا، أو أن يرقي المزارع فيُمسي كونتًا؛ إن المساواة في عقيدة الجماعة الوطنية ليست سوى شعارًا للضغينة، فهي، نظريًا، لا تُقر ولو كلمة واحدة عن اللامساواة، لكنها كلما طُبقت واقعيًا عملت على تمويه كافة أشكال اللامساواة القائمة بالفعل. إن الرومانسية لهي تخصص بالنسبة للحقد. فخلق نظام من الطبقات أو الطوائف، بهذا المعنى، يرادف إقرار أشكال جديدة من اللامساواة، تابوهات، وهو ما يستحيل على النازية أن تقره؛ فحتى أعلى رموز نظامها التراتبي، القائد، يوصف بأنه *رفيق*، يمكنك أن تصافحه في اجتماع حاشد، إذا ما تمكنت من تجاوز حراسه بالطبع. إن النازية تدعي أنها *الديمقراطية الحقة*؛ يا له من تناقض صارخ.
إن النازية بهذا المعنى تفعل نفس ما تفعله الليبرالية والاشتراكية والديمقراطية، لكن بدون عبارات إرشادية حول المساواة؛ إنها تتوجه أكثر لمناصبة العداء للامساواة، وتزعم تحقيق *المساواة المُثلى* التي لا تعبر عنها في أي حال إلا بأشكال سخيفة. هذا من طبيعة الوحش[11]؛ وكما يحدث في أوقات *التحرر والمساواة والإخاء* فهي *المساواة* ليست أكثر من غياب للامساواة الإيجابية، مما *يجلب إلى الأرض*، من ثم، *المساواة المسيحية بين الأرواح أمام الإله*، ومما لا يُمكن فهمه بمنأى عن جذورنا المسيحية. أنا أختلف هنا مع رؤية ماكس شيلر، إذ لم يُرِد أن يُحمل المسيحية

مسؤولية المساواة والضغينة، ولقد فصلت في هذا الخلاف عبر صفحات كتَابي *المسيحيون الجدد والقدامى*[12]، والذي نُشر في نفس وقت نشر هذا الكُتيب الذي بين أيدينا؛ غير أن المقام هنا لن يتسع للخوض في هذا الموضوع أكثر، بما أننا لا نُعنى هنا إلا بالأشكال *الحديثة* من المساواة والضغينة.

كان لشيلر تحليلات ألمعية حول هذا الأمر، والأهم أنه قد كتبها قبل عام 1919، حين لم تكُ الفاشية أو النازية شيئًا مذكورًا. لقد بنى شيلر تحليلاته للحقد عبر أشكال أقل وضوحًا مما نراه اليوم، فأفكاره حول الضغينة كانت نتيجة للتفكير في الديمقراطية والاشتراكية ... لكن أفكاره، في رأيي، ما تزال صالحة، وبشكل مبهر، للتطبيق على النازية! لماذا؟ لأن التعارض بين الديمقراطية والنازية، أو بين الاشتراكية والنازية، ليس إلا تعارضًا مشروطًا؛ إذ يعبر أكثر ما يعبر عن التباين في الطرق التي تُجلي بها الضغينة ذاتها. وبالرغم من الأهمية الكبرى لهذا التباين، فهو لا يشير بأي شكل إلى انفصام بين الاشتراكية والديمقراطية وبين الضغينة. فكر فقط في *جان جاك* روسو، أب الديمقراطية؛ مثال للإنسان الحاقد، أو في كارل ماركس، الذي تطلب أمره جدلًا مكتمل التطور ليُؤسس، في مناخ من الغطرسة *بالاكتشافات* العلمية، رؤية للعالم لم يكن ثم سبيل إليها بلا حقد على *الطبقة* البرجوازية. ليس من قبيل المبالغة إن قلت إن الحقد يُشكل الثقافة؛ بل كان له أن يشكل الثقافة في عالم لم يستطع تشكيل الثقافة في ظل لامساواة لا خلاص منها؛ لقد شكل الثقافة في القرن المنصرم، وفي هذا القرن أيضًا، وهو إذ يرتبط *بالحرية* و*المساواة* و*الأخوية*، و*بالتطور الجدلي* في مرحلة تالية، سيظل عاملًا مشكلًا للثقافة. علينا أن نمتلك الشجاعة **لنعلم أنه لا يتأتى من الحقد سوى الحقد**، وأن نضرب عرض الحائط بالافتراضات المُسبقة التي صاغها مثقفون أخنى عليهم الدهر، ممن ما فتئوا ينبشون، بعد العمق، عما هو أعمق، أو الماركسيون الدوجمائيون أصحاب العلم المحيط الذين يؤمنون بـ *علاقة* جدلية بين الثقة العلمية في النفس وضِعة الحراسة الطائفية *للمقدس*.

لا تسء فهمي، فبالتحديد حين أفرق بين الليبرالية والاشتراكية والديمقراطية، في جانب، وبين النازية في جانب آخر؛ أؤكد أن الديمقراطية أسمى من الاتجاهات الفاشية والنازية التي تفرعت عنها، ناهيك من سمو متحقق على *الديمقراطية المُثلى* التي تزعم دكتاتوريات (موسوليني وهتلر وستالين) - عابثة - الدفاع عنها. حتى هؤلاء، الذين هم أبعد ما يكونوا عن أي فكرة ديمقراطية؛ توجب عليهم أن يعتبروها النموذج الأعلى المطلق، فلا يُمكن الاستمرار في وصفهم بالطغاة أو المستبدين أو (الكوندوتوري/ قادة المرتزقة condottieri)[13] فالديمقراطية هي ضميرهم المُعذَّب[14]. لذلك، فلندع الديمقراطية تصبح ضميرنا السويّ! ولا نخلط بينها وبين البرلمانية أو وظائفها الفرعية الأخرى، فلنصبح ديمقراطيون متحمسون، بالتحديد بأن نفرّق بين الديمقراطية كنظام وبين غياب النقد! لأننا لن نجد في أوروبا فيما وراء الديمقراطية سوى الرجعية التي ترزح تحت الضغينة ولا تتوق إلا للماضي. أما الديمقراطية في المقابل، فللضغينة على الأقل حرية تحليل ذاتها، ومن ثم، تشكيل ذاتها، فإحدى فضائل الديمقراطية النفيسة أنها لا تتضمن أي زخرفة مضللة أو تهويمات رومانسية، مما يعد مناخًا مُلائمًا للنازية.

أعلم جيدًا أنني بهذه الأفكار قد وصلت إلى استنتاجات مختلفة عما استنتجه بعض المثقفين، ممن أعجبوا بالديمقراطية بطرق شديدة الاختلاف. فهم يرون، إجمالًا، أن التعارض بين الديمقراطية والقومية والاشتراكية يكون دائمًا على طريقة *الخطأ* و *الصواب*؛ ومن ثم يبذلون جهدًا مضنيًا

(تقريبًا أكثر من اللازم) في فضح المقترحات الفارغة للنازية، بل وبنية حسنة يحاولون اكتشاف بعض جوانبها الإيجابية، حتى لو كانت هذه الجوانب، طبقًا لرأيهم، قد تراجع عنها منظرو النازية أنفسهم. فلولا بعض الإيجابيات في النازية، تبعًا لما ذهب إليه هؤلاء الأخلاقيون، لما كان لها أية جاذبية، ولما كان لها أية قدرة، سواء هنا أو في أي مكان آخر، على زعزعة وعي الناس. هذا هو التفسير الأخلاقي، وهو عندي غير ذي حجة؛ فالسؤال هنا ليس عن الخير والشر، بل عن سيكولوجيا *جاذبية السلطة*، مما لا يعني سوى التفكير في سيكولوجيا الدعاية والإعلان، وما لإنسان القرن العشرين، العادي، من رد فعل على الدعايات. *نريد أن نحاول أن نكون موضوعيين* هكذا يقول ناقد آخر في معرض تعليقه على كتاب *ألفريد* روزنبرج[15] *أسطورة القرن العشرين* *ويكمل*: *لنُقر أنه *أي: كتاب روزنبرج* يتضمن بعض الحقائق، المكتوبة بصدق ولا تخلو من براعة، ولنرفض ما فيه سخافات وغلط، وما فيه من افتراء وشؤم* هذه هي الموضوعية التي ترجو أوهام الانتقاء أن تطبقها، على كتاب أقل ما قد يُقال عنه أنه منحول من إحدى الموسوعات ليُعاد ترتيبه حسب معيار (أبيض وأسود) التي خلقها حقد مطلق (بُغض اليهود والكنيسة المسيحية) وبكفاءة قل مثيلها! إن نُقّاد النازية هؤلاء على درجة خطيرة من السذاجة ليروا ولو النذر اليسير من الخير أو الحقيقة لدى مثل هذا الشخص الذي اكتسب قيمته العامة، بالتحديد، من أنه، ومن هم مثله، لا يفرقون بين ما هو خيّر أو شرير أخلاقيًا، أو صحيح وخاطئ علميًا! لا يُمكنني أن أفهم مثل هذه السذاجة لدى هؤلاء المراقبين إلا بأنهم قد نسوا مراقبة أنفسهم، ومن ثم، غفلوا عن الانتشار الكثيف للضغينة، حتى فيما هو خيّر، وحتى فيما هو مُحقّ؛ وإلّا كان لهم أن يفهموا أن التعارض المبدئي بين الديمقراطية (من الناحية الإجمالية) وبين النازية لا يُمكن يُدرس في أفق أخلاقي، أو باعتبار ما هو ممكن موضوعيًا (لأنك يمكنك بسهولة أن تتصور نازيين خيرّين، أو نازيين موضوعيين). لقد تمكن شيلر من متابعة دراسته للضغينة، وهو ما أُعِدُّه نبوءة بوباء النازية، على أساس ما عرفه عن الديمقراطية والاشتراكية؛ وهذا وحده يعد دليلًا قائمًا بذاته على ما قد دافعت عنه كثيرًا، وأدافع عنه ههنا ثانية: أن النازية ليست ضدًا للديمقراطية، بل تحققًا للديمقراطية والاشتراكية، وأنها ليست زعزعة للديمقراطية والاشتراكية بل تشوّه فيهما؛ هذا التشوه في العقيدة[16] الديمقراطية والعقيدة الاشتراكية، مفهومًا على وجهه الصحيح - وهو ما لا يُمكن بأي حال أن نساويه بالديمقراطية القائمة بالفعل - هو ما نحيا بداخله، ولا نعرف نموذجًا أكثر منه سموًا. على كل من أراد أن يُعارض النازية أن يُعارض نفس الصيغ المرتبطة بالديمقراطية والاشتراكية التي يعارضها بوضوح في النازية؛ لأن النازية تحرير تام للضغينة التي كانت مقيدة في الديمقراطية والاشتراكية بقواعد للعبة، وهذه القواعد هي ما تمكّن، إلى حد بعيد، من *تشكيلها*. إلا أنك بمجرد أن تحاول أن تُشكّل النازية ستجد أنها ليست شيئًا مذكورًا بدون الضغينة و*سياسات المسدس*؛ فإما ستتدهور إلى قومية متطرفة، أو ستخسر أنصارها لصالح الاشتراكية او الشيوعية المتطرفة.

ثَم مثال له أن يوضح جذور الضغينة النازية النابعة من الديمقراطية، وهو ما كتبه شيلر حول النقد كما يُمارسه المُضطغن[17]:

ما يؤسس هذا النوع العجيب من *النقد المضطغن* هو أن أي تطور في الشروط محل النقد لا يؤدي إلى أي شعور بالرضا، بل لا يقود إلا إلى استياء محض، لأنه يدمر المتعة المتنامية التي يخلقها الدحض والنفي. العديد من الأحزاب السياسية المعاصرة لن تشعر إلا باستياء عارم إذا ما

تحقق لها بعض مطالبها، او شارك ممثلوها مشاركة بناءة في الشأن العام، لأن مثل هذه المشاركة ستُفسد عليها استمتاعها بالمعارضة. إن ما يميز النقد المضطغن، ويزيد من غرابته، أنه لا يرغب بجدية في تحقيق مطالبه، ولا يستهدف علاجًا للشر: فالشر عنده ليس سوى ذريعة للانتقاد[18].

لاحظ جيدًا أن شيلر لم يكتب هذا عن الأحزاب النازية، أحزاب الضغينة بامتياز، لكنها هي هذه الأحزاب ما ينطبق عليه كلمات شيلر بدقة مفزعة، وهي هذه الأحزاب ما يحقق ما اكتشفه شيلر في الديمقراطية، التي تشابهها على الأقل في أنها رأت المشاركة البناءة كهدف في ذاتها، كما يرى الانتقاد في الحقد هدفًا من أجل ذاته. حينئذ للمرء أن يندهش حقًا من أن الفاشية والنازية لم تظهرا في وقت أسبق، ليقول إننا، إلى هذا الحد، لم نفعل شيئًا يُذكر سوى لعبة التمهيد، وأن الصراع على الديمقراطية قد بدأ لتوه، في لحظة تحرير الضغينة لذاتها وفي اللحظة التي لم يعد فيها المُضطغن يعير أي انتباه لتقاليد البقاء (مثل العلم المحض أو الحرية الفردية). إن ما بدأ لتوه هو الصراع حول الحد الأدنى من الديمقراطية، إذ تكشف الديمقراطية – كحد أعلى- عن ذاتها بوضوح في صورة النازية، وإذ تبدو *حقوق *الإنسان* الكونية* عبارة عن حق كل أحد في الكراهية بلا قيد، وفي بُغض وملء معسكرات الاعتقال بأولئك الذين لا يؤمنون بالمساواة أمام الهرّاوة كقيمة عليا، أو الذين يرون *القائد* كمجرد رمز صارخ لهيستريا الضغينة.

الاعتراض من أجل الاعتراض أو الكراهية من أجل الكراهية (من أجل ما تقدمه الضغينة من لذّة لأولئك الذين لا يستطيعون إلى الفعل سبيلًا)؛ الصُراخ مطالبًا بما لا تريده حقًا، لأن تحقيقه لن يؤدي إلا إلى تقييد فُرص الكراهية؛ التحول اللحظي من ضجر إلى ضجر ، ومن شكوى إلى شكوى، حين تُحل الشكوى الأولى ولو مصادفة، لكي لا تخسر مكانك بين جمهور الضغينة؛ وهم الإطار الأعم *لإنتاج الضغينة* الذين مع ذلك يجمعون كل صفات الحُمق في اللحظات الحاسمة، لأنهم، كمنتج من منتجات الضغينة *المحضة* بدورهم، يفتقدون أي فطنة إذا ما تعلق الأمر بالقوى التي يمكنها ان تُقوض الحقد (مثل: الرضا و التأدب، إلخ...) كل هذه الصفات قد طُويت بداخل الحزب النازي *الهولندي*، نصيبنا من الأممية الأوروبية العُظمى للضغينة، والذي لا تظهر آثاره إلا على المستوى الوطني محصورة في عجز الحاقد إلّا أن يكون *شِبهًا /كَزًّا*[19]؛ فهو شِبه بطل وشبه شعبي وشبه مُحترم وشبه ألماني ... ليس ثم وراء كل هذا *الشبه* إلا الضغينة، وتحت شبه الإيجابية هذا لا يُسمَعُ إلا حسيس *الاعتراض من حيث المبدأ*. عندما تقل قيمة الجلدر[20]، يصبح الجلدر بين عشية وضحاها موضوعًا لبروباجاندا الضغينة، لأنه ما عاد بالإمكان الدعاية للجلدر بوصفه عملة ذات قيمة عالية؛ إن الجلدر كموضوع اقتصادي، بشكل عام، ليس له أي دور، علينا أن نراعي ذلك جيدًا. ليس الجلدر هنا قرصًا معدنيًا ولا وسيطًا في عملية التبادل ولا عملة ولا رمزًا اقتصاديًا، بل مجرد كلمة يمكن أن تُستخدم اعتباطيًا من أجل مناورات حاقدة خاصة. لذا، يرى ألفريد روزنبرج أنه ليس ثمة مشكلة علمية في المعنى الجليل الذي أضفاه مفكرو القرن المنصرم أصحاب اللحى الطويلة على المشكلات العلمية؛ فحقائق التاريخ عنده يُفترض ان تكون مادة للتنظيم عبر تراتبية الحقد، التي تنقسم إلى معسكرين فحسب: المكروهين والكارهين، حزب يحق للمرء ويجب عليه أن يكرهه، في مقابل حزب يحق له ممارسة الكراهية على مستوى كوني. كل شيء آخر ليس إلا *كزًّا*، وأيّ إنسان سوف يقتفي فُتات *الحقيقة*، بنفس حسن نية النقاد الذين أخنى عليه الدهر وقصر نظرهم، لن يجد إلا الخذلان.

أما بالنسبة للناقد، الذي لم ير بعد كيف حررت الضغينة ذاتها لتصل إلى المستوى الصافي الذي وصلته على يد النازية، فيرمي إلى الحفاظ على موقعه مُترقبًا مُضاعفات تحديد الأهداف، حيث لا شيء يُهمه سوى تحقق الضغينة *الخالصة*. لا يمكنه أن يتصور منطقًا مبنيًا على الحقد كمثل أعلى، فيتيه بحثًا في عقيدة النازية المبنية على التفوق العرقي عن أسس علمية، بدلًا من تركيز البحث على الأساس الوحيد لعقيدة التفوق العرقي، ألا وهو كراهية اليهود. ما زال الناس يتعاملون وكأن كراهية اليهود قد *اكتُشِفَت* كمقولة علمية، وحتى إذا ما اتبعنا مثل هذه الطريقة نصف العلمية في قراءة كتب مثل *كفاحي* و*أسطورة القرن العشرين* لن نجد ولو مقولة واحدة متعلقة بالشخصية إلا تلك المقولات التي حررها الحقد. أولنقل إننا نحتاج لمثال أحدث، ومن عائلة أكثر نُبلًا؟ لنستمع إلى *فيلسوف الثقافة* النمساوي، الأمير كارل أنطون روهان[21] في كتابه الصادر حديثًا *ساعة المصير في أوروبا*[22]، إذ يقول:

إذا ما رأت المناقشات الثقافية ألا معنى للسؤال اليهودي لأنه لا يقوم على أساس علمي، فإن النازية مُحقّة في مراعاة غرائز الدم كحقيقة أولية. إن مفهوم العِرق بلا أساس علمي بدوره، وهذا لا يقدح في وجود الأعراق، بل يقدح في كفاءة العلم.[23]

يُمكنني ان أتفق مع هذا الأمير في كل شيء إذا ما استبدلنا بكلمة *غرائز الدم* ذات الجَرْس الصوفيّ[24] كلمة الضغينة، الأقل شعرية، لكن الأكثر دقة (وهي أيضًا حقيقة أولية!)، وإذا ما نسب المرء اعتراضه على العلم إلى رغبته الغامضة في الاتفاق مع الضغينة بأي ثمن. بالفعل، المقولات البيولوجية ليست هنا سوى *كز* فحسب؛ لا يمكن ببساطة لأحد أن يعمل بها دون أن يسبقها بعبارة *إن كان المرء نازيًا* لأن الحاقد يحيا بداخل مجموعة من العبارات التي توفر له موقفًا تجاه ذاته وتجاه الآخرين، سواء كان إيمانه بالعبارات ثانويًا أم لا، الأمر الأهم أن العبارات لا تكف تكرار *البطولة* *الدم* *الاحترام* *المجتمع* حيث يسير الحقد. على هذا النحو، ما يُسمى بعقيدة *التفوق* العرقي ليست سوى الواجهة الأسلوبية للضغينة المجسدة في كبش الفداء الأبدي، اليهودي؛ يأتي الحقد أولًا، ثم كراهية اليهود في المرتبة الثانية، ثم تحل المقولات *العلمية* في المرتبة الثالثة. لا يمكن تصور النازية بدون الحقد، إن كره اليهود يُمكن أن يُستبدل إن سنحت الفرصة بـ *فرنسا الزنجية*[25] أو *الأذلاء*، إذ اليهود ليسوا سوى إحدى الذرائع التي توفر للضغينة موضوعًا واقعيًا، اما المقولات *العلمية* فيُمكن أن يُعدَلَ عنها إذا ما اقتضى الأمر، دون أي أثر يُذكر قد يضطر إليه منظرو الضغينة هؤلاء في مفاهيمهم.

يوثّق تطور الفرع الهولندي من الحزب النازي بوضوح كيف تعتمل مثل هذا الأيدولوجيا بداخل إنسان الضغينة الخالصة. لقد كانت كراهية اليهود في هذه البلاد، في سالف الزمن، جزءًا ثانويًا من منوال الضغينة العام، بل وكانت مما يتم التنصل منه رسميًا، لكن *الحركة* كلما ابتعدت أكثر عن *التأدب الهولندي* كلما ازدادت وعيًا بعبارة ضغينتها، كراهية اليهود، وهي أحد أسهل أشكال الكراهية وأكثرها درًّا للمكاسب؛ الإناء بما فيه ينضح، وحركة مبنية على الضغينة بدون إسقاط ضغينتها على أضعف الأشياء وأكثرها جلبًا للنفع لن تصبح سوى خطأ في التعريف. فبمجرد أن تفتق ذهن *القائد* عن الفكرة الألمعية بتقسيم اليهود إلى خمسة أنواع (وهو تقسيم *علمي* يتم تقديمه وكأنه صيحة من صيحات آلهة الأولمب) سرت كراهية اليهود في كافة شرايين عُدّة الضغينة الاصطلاحية، في *الشعب وأرض الآباء* وفي البالوعات الأخرى الثانوية. أما عندما ساءت الأوضاع، بعد الأخطاء المرتكبة خلال انخفاض قيمة العملة[26]، أمست كراهية اليهود بالكاد

عامودًا جديدًا مُتنكرًا لتشتيت البرق[27]. وحتى وقت كتابة هذه السطور، لم يختلف أسلوب النازية الهولندية تجاه كراهية اليهود عن التنويعة الألمانية؛ ينقصهم فقط أن يخترعوا عقيدة عرقية متماسكة ومجموعة من المقولات *العلمية*، وإن امتد عمري كفاية سأرى حدوث ذلك بالفعل تحت شعار Wolfsangel[28] *شَرَك الذئاب*.

ومن ثم، للنازية منطقها الخاص، وحتى موضوعيتها الخاصة؛ منطق وموضوعية الضغينة *المحضة* التي تحررت من كل قيد. لكن هذا المنطق لا يكشف عن ذاته بطرق بالية، مثل النقاش، بل عن طريق الأوامر والبروباجاندا، فلا تبحث عن الموضوعية في البراهين المتماسكة والاستناد إلى الحقائق، ولكن في الأكاذيب، وفي البناء[29] التبسيطي *الاختزالي* لأحداث العالم، في تعارض تام مع الحقائق المعروفة إن لزم الأمر. إن الأوامر والبروباجاندا، البناء والاكاذيب، يمكن ان توجد في المجتمعات الديمقراطية، ولكن دائمًا ما تكون تحت مظلة النقد والنقاش والحقيقة و*البحث المضاد*. أما النازية، فلا يمكنها تتحمل مثل تلك الأمور النسبية، لأنها قد تُعرِّض المخطط المُبسط للعالم للخطر، الأمر الذي يحتاجه المُضطغن لصيانة وتعزيز ذاته؛ لكن ما زال يمكننا أن نتحدث عن منطق وعن موضوعية هنا، لأن المُضطغن، الذي هو شبه متحضّر أيضًا، لا يُمكنه ان يكتشف في كذبه الكذب، ولا في بناءه الوهم. إن نفسية الكذب في النازية أكثر إثارة مما قد نستشفه من كتابات بعض المثقفين الأخلاقيين المُتيمين بالحقائق، لأن الأكاذيب لا تُبقي أي مكان للمناورات والتفاوض بين *الحقائق* النظرية و*الأكاذيب البيضاء* العملية، الأمر الذي يُعد سمة أساسية من سمات الشخص الديمقراطي العادي. في المجتمعات الديمقراطية، يُمكن للسعي إلى الحقيقة أن يُحقق بعض النجاح في ظروف محددة؛ أما في الدولة الديكتاتورية النازية، فحتى مجرد السعي لن يجد أي صدى، لان الضغينة المحضة قد حولت منطقها وموضوعيتها إلى *معيار كل شيء* عبر صحافة مُنصاعة ومجتمع ميال إلى عبادة الدولة. إن النضال ضد النازية بذلك ميؤوس منه إن لم ندرك أن النضال هو في المقام الأول ضد تحويل الضغينة لمثل أعلى، ليس فقط بين النازيين، بل أيضًا بين الديمقراطيين والاشتراكيين. مثل هذا النضال يتطلب تكتيكًا جديدًا كليًا، أوله، على سبيل المثال: الحديث بطريقة أقل استخفافًا حول *حفنة الخاسرين*، فأي تقدير للمدى الذي يُمكن لاحتياطي الحقد المطمور أن يبلغه لن يكون بأي حال من قبيل المبالغة.

إن التبسيط الذي تحتويه *عقيدة* النازية، على ذلك، لم يهبط من السماء؛ فالاستنتاجات المُختزلة المُبسطة تجري من الناس مجرى الدم، وما على الأهواء إلا أن تجد لذاتها مُبررًا. لك الآن أن تُفكر في النقيضين[30] المسيحيين، المُختَبَرين المُجَربَين، المسيح ونقيض المسيح *المسيح الدجال* اللذين هيمنا على العصور الوسطى؛ ولك أيضًا ان تتذكر المفهوم الماركسي حول الصراع الطبقي، والذي لم يقصد ماركس أن يُبسطه أو يختزله بالطبع، لكنه بالتأكيد أمسى كذلك بين أتباعه وبواسطتهم؛ ولك أن تتذكر التعارض المنتشر بين الجميع، من الأستاذ إلى التلاميذ، بين *النخبة المثقفة* و*العامة*؛ ولك أخيرًا أن تفكر في، وهي التجربة الأكثر قربًا من زمننا، الخطة المبسطة لحركة *الوحدة من أجل الديمقراطية*[31] التي تتضمن العداء لتيارين مختلفين من التفكير مثل الشيوعية والنازية، لمجرد أن ذلك سيوفر على المواطن مشقة المزيد من التفكير، ولأن استبداد ستالين يبدو بالضبط كاستبداد هتلر من حيث آثاره. ولذلك لا يختلف الشعار المبسط *لا موشيرت ولا موسكو* عن أي من التبسيطات الأخرى إلا من حيث الدرجة؛ تمامًا كما تتميز الضغينة *المحضة* المحررة من كل قيد عن الضغينة المُقيدة بتشكيلها لذاتها عبر أسس ثقافية. إلا أن لهذا

التدرج أهمية قصوى، خصوصًا بالنسبة لنا وخصوصا عبر تبعاته. إن التبسيط في ظل النازية يتحول إلى معيار لكل شيء؛ ولا يحتمل الديكتاتور النازي أي شكل من أشكال النقد، بل ويحول الحياة جحيمًا بالنسبة لأي شخص يرجو معايير الحرية قبل كل شيء، عبر السعي إلى تناقضات جديدة دائمًا، واكتشافات جديدة دائمًا؛ لا تتبني الحرية في النازية إلا على الحرية المطلقة لدكتاتور دولة الضغينة المطلقة. لهذا السبب يُمكننا أن نفترض أن أخشى ما تخشاه النازية كعقيدة حقد محض هو التفكك البطيء للأوهام الذي عادة ما تُنتجه رؤى العالم الاختزالية في النهاية، حتى بين أكثر الناس بلاهة؛ حين يدركون أن نفي اليهود، والإيمان ببروتوكلات حكماء صهيون، والنواح خوفًا من *البلشفية العالمية* شعارات لم تعد تروي ظمأ الضغينة أكثر من أية وسيلة أخرى، ويمكنني الآن أن أتصور بالتقريب في أي صورة سيكون ثأر الضغينة حين تتقلب على أنبياء الضغينة وصُنّاع معجزاتها، *القادة*، حين تنتهي النبوة وتنقطع المعجزات...

إن النازية كعقيدة تكشف عن ذاتها أيضًا بأشكال عدة غير كونها عقيدة ضغينة محضة، فأحيانًا ما تصادف مفهومًا مبنيًا على أن الضغينة وكأنها نتيجة لغياب العدالة الاجتماعية وانتشار الفقر، خصوصا في الدوائر الاشتراكية التي اعتادت تقبل الفقر كمثال في مقابل الثروة، كما اعتادت على تخيل معنى محدد للعدالة في الطبقة العاملة، منذ أن أعلن ماركس أن مصير الإنسانية معقود على إنهاء البروليتاريا للتناحر الطبقي. كنت أتمنى أن أتمكن من شرح الضغينة عبر غياب العدالة وانتشار الفقر، وأن أحول الضغينة ذاتها لمثال، إلا النازية تُشير إلى العكس تمامًا، فهي ليست دينًا *لمعذبي الأرض* وليست تناحرًا طبقيًا جرى إثباته بشكل اجتماعي أو علمي؛ إنها تهدف إلى تأسيس *الجماعة الوطنية* أي حيث يبقى الغني غنيًا ويبقى الفقير فقيرًا وتبقى الطبقة الوسطى طبقة وسطى... كل ذلك إلى مدى معين، تحده صدقات Winterhilfe[32] *هيئة معونة الشتاء*. إن النازية تخون ذاتها أيضًا لندرة النقاط الإيجابية في برنامجها، وفائض وعودها بكل شي وبأي شيء. هذه هي *العقيدة* المتفوقة في أوروبا الديمقراطية، المولودة من رحم ضغينة الكل ضد الكل: الفقراء ضد الأغنياء، والأغنياء ضد الفقراء، والطبقة الوسطى – قبل كل شيء – ضد كليهما، ضد *كبار الرأسماليين* الملاعين، بالضبط كما *عبيد موسكو* الملاعين. لذلك *يُمكنها* أن تُناسب كل شخص امتلك من التحضر ما يرفعه عن الأمية ولو بالقليل (ما يُمكّنه فقط من قراءة منشور أوأن يسمع ذلك من الألمان أو *بيت هاين*[33]) من الذين قُدمت لهم الحضارة كملكية بدهية (وكحق بعد ذلك) ومن الذين يفتقدون أي ميل للتبرم من أسخف التبسيطات والاختزالات؛ ومن هؤلاء ثَمَ ما هو أكثر من *حفنة صغيرة*. لقد ساهمت الديمقراطية بكل مُباركاتها في الإعداد لصعودهم بتحبيب السذاجة إليهم، بما زينت من تعليم إلزامي وتعليم الكبار والمكتبات العامة، أما عندما تتقلب ضغينة الكل ضد الكل على هذه المؤسسات، فلا يمكن إلا أن نقول *ألّا ينتظر طيب الفعال إلا النكران*. ليس غباءً *محضًا* هو الذي يقود النازية، وليس أيضًا الفقر في المقام الأول، وإن كان قد مهّد لها السبيل؛ بل شبه الحضارة هو الشرط المبدئي الضروري لضغينة النازية، وهو ما يربط الأغنياء والفقراء والطبقة الوسطى برابطة سحرية، وهو ما أنتج شعار (مُركّب البؤس والكذب والاختزال) ***أممية الضغينة***.

إن العمل ضد النازية، من ثم، ليس شبيهًا بأي حال بالعمل ضد الانتهاكات، لأن الضغينة، مالم تُهاجَم من جذورها، وإذا تطلب الأمر، ستخلق أشكالًا أخرى من غياب العدالة، لتوفر لنفسها ما يكفي من ذرائع ومبررات. فإن كان من الحمق إنكار أثر غياب العدالة وأزمات النمو على النازية،

فالأكثر حمقًا بالتأكيد البحث عن أسبابها في غياب العدالة وأزمات النمو. إنه لقصر نظر مُشابه أن نرى في هذا التوجه حركة من *البرجوازية الصغيرة*، أصحاب الدكاكين والمُستأجرين المفزوعين من شركات الأعمال الكبرى والعمالة المنظمة. إن *البرجوازي الصغير*، على الأكثر، رمز مؤقت للنازية، لأنه كان الأكثر عُرضة وتأثرًا بالتحرير الكامل للضغينة، بعد أن فقد دِينه، أو على الأقل فقد ثقته السابقة غير القابلة للاهتزاز في دينه، بدون أيدولوجيا يُمكن لها أن تحل محله. على كل حال، نحن لم نر إلا بدايات تطور شبه الحضارة التي تخدم الضغينة، لكن سؤال *البرجوازية الصغيرة* بالتحديد لن يُشكل عالمًا تخلى عن مفاهيم المنزلة. هذا هو سبب أن هزيمةً مؤقتةً للنازيةٍ لا تُعد نهايةً لخطرها، لأن الخطر المطلق لا يكمن في النازية *كعقيدة* ولكن في الضغينة *المحضة*، التي لا نعلم شيئًا عن جذورها، وتؤمن بعبارات مثل:* الحقيقة الصافية للأكاذيب الصافية*. إن الحاقد يؤمن بقائد لم يُثبت قط قيادته، لكن *هولندا بدونه بلا مستقبل* فيُحيل مسؤوليته لمهندس سابق[34] يُشكل مصطلحاته وهيئته ووجهه على أمثلة أجنبية، كمثل الضفدعة في الأسطورة التي تنتفخ بالكبرياء الوطني[35]. كيف نفكر في هذه المفارقة؟ هل سيكون التعارض البادي أمامنا غامضا إذا ما فهمنا أن ما ينتفخ حقًا هو الضغينة، إذ لم يعد ثم تناقض ملموس بين الوطني والأجنبي، حين يحقق الموضوع محل النقاش منطقها وموضوعيتها *الضغينة*؟ إن جناب السيد موشيرت ليس لغزًا إلا عند الذين هم على شاكلته، وهم، من حيث التعريف، الذين يميلون لرؤية جوهر الإنسان في كلماته وهيئته، فالكلمات والهيئات – التشوية الفج للفهم الحق والكرامة الحقة- هي الأدوات المفضلة عند الحاقد، الذي يجب عليه أن يزعم الفهم ويمارس الكرامة أمام المرآة. لقد هجرت الضغينة المُحررة كل السُبُل التي سبقتها، بما فيها الديمقراطيّ؛ لذا تنتحل صفة الأرستقراطية: الحق الممنوح من الإله للملوك في أن يتخذوا رفاقًا[36]؛ مفارقة أخرى لم تعد لغزًا في ضوء الضغينة...

على رأس التراتبية الهولندية يقف السيد موشيرت، وهو في الآن نفسه، *خادم خُدّام الشعب*[37]... دعونا نُعطي الكلمة لنيتشه ليصف هذا المشهد حق وصفه:* كنت أتمنى لو ما زال بالإمكان الضحك من سمو أدنى الكائنات إذ تحوز القيمة المطلقة لكل شيء*. للحق إن الضغينة تخلو من المزاح، ليس ثم شيء أكثر كآبة وطردًا للمزاح من الضغينة. عند هذه المرحلة بالتحديد يجب ان نلاحظ نسبية المزاح والتهكم، لأن *القتل بالسخرية* لم يعد ممكنًا؛ فحيث تقدم الضغينة ذاتها كقيمة مطلقة، فإنها تستحث أكثر الشعارات فتكًا، وأكثر النظريات خبلًا، لو ما زال الضحك ههنا قاتلًا، فيتعين على ماكينات الضحك ان تنطلق مخلفة من الضحايا ما لا يعد ولا يُحصى. إن فقدان عبارة *القتل بالسخرية* قابليتها للتطبيق على النازية لدليل على سلطة الضغينة على الروح، وهو مالا يجب أن نستهين به. إن الغل حين يسنح له المجد ليلفظ رموزه المثيرة للسخرية، التي لا تُر بين رفاق الضغينة كموجبات للسخرية، بل للحب.

إن الكفاح ضد النازية لم يقده المثقفون؛ فتأثيرهم على العالم شبه المتحضر- الذين هم، بطريقة ما، أحد منتجاته- أقل بكثير مما قد يُظن. لهذا السبب سيكون من قبيل المبالغة الكُبرى في تقدير الذات التوقع من المثقفين (ولا أعني هنا *النخبة* المشبوهة، بل *المفكرين الحقيقيين* بأعم ما للكلمة من معنى) ما هو أكبر مما تتوقعه أدنى التقديرات. زد على ذلك، أن ما عند هؤلاء المثقفين مشوش بنوع من أنواع شبه الفلسفة الميالة لما يُسمى بالعناصر الإيجابية لدى النازيين. حتى أننا لدينا في هولندا عدد من فلاسفة الضغينة الخُلَّص الذين تعلموا في فترة قصيرة أن ينتقلوا من الإنسانوية إلى

الدمترة[38]، والذين يكتبون بهدوء حول *نيتشه وشبنجلر وهتلر* كما لو أنه ليس على الإنسان أن يُطهر فهمه بعد ذكر اسم هتلر، وكما لو أن الفيلسوف الذي ندين له بمفهوم الضغينة مساو لرمز ليس سوى وسيلة مَهينَة للضغينة. لقد دَرَب هؤلاء السادة على ألا يتحدثوا – وربما هم مأمورون- عن معسكرات الاعتقال واضطهاد اليهود ونيران الرايخ، ومن ثم انشغلوا أكثر فأكثر في شقشقتهم وتأتأتهم بأساطير قديمة وحديثة حول *الجماعة الوطنية* والمقولات النظرية التهويمية الأخرى.
لكن الأشد خطرًا من سليلي العمق الفلسفي هؤلاء هم الأبرار[39]؛ المُترفعين عن *الأمور الثانوية*، الذين لا يبحثون إلا عن *الأسس* و*الماهية*، و*جوهرهم* الأفلاطوني. وللحق، ليست نصيحة هؤلاء بالنظر فيما هو أبعد من المظهر الخارجي من نافل القول فحسب، بل قد تصبح، باعتبارِ ما، تضليلًا لهم، إذ هم لا يهوون شيئًا أكثر من البحث في *الأعماق* مما يؤدي بهم إلى تجاهل كلَ ما له علاقة *بالمظهر الخارجي*. ليس صحيحًا أن ذلك يرجع إلى العمق الهائل في أسلوب النازية؛ الأكثر عمقًا من الإنسانوية، فللنازية *روحانية* هائلة، إنها تهدف إلى، كما يُخبر أي منشور صادر عن مكتب موشيرت وشركاه، *ثورة روحية* حتى لو كانت *غير دموية* تمامًا (كما تذكر دورية النذير الفصلية، 7 ابريل 1937). لكن لا يمكن للمرء ان يفهم النازية كعقيدة حقد محض إلا عبر مظهرها الخارجي؛ إن صيغ الكراهية والحسد، وقذارة الافتراء، هو ما يجب أن يجتذب نظر هؤلاء الأبرار! فلو استُثنيت هذه *الأمور الثانوية* مما يعد *أمورًا مهمة* لن يتبقى إلا ضغينة الكل ضد الكل، وناتجها النهائي الكلي حرب الكل ضد الكل؛ البقية ليست سوى خيالًا رومانسيًا أرسته الضغينة، التي لا يُمكنها أن تنجو في النهاية بدون رومانسية. ولا تخلو أي نزعة رومانسية من مسحة ضغينة، إلا أن تلك الرومانسية *رومانسية محضة* لأن الضغينة *المحضة* هي التي ما يقيم أودها. ومن ثم، ليس في أعماقها الرومانسية السحيقة، بل من ظاهرها الجامح المخادع؛ يُمكن أن نصل إلى *ماهية* النازية، لأن هذا الظاهر هو الذي تلاعب بحقيقة أن هؤلاء الأرستقراطيون ليسوا سوى ديمقراطيون مرتدون، وحقيقة أن هؤلاء المثاليين أصحاب مقولة *الشعب* يستخدمون *الشعب* من اجل أغراضهم الخاصة، وحقيقة أن هؤلاء *القادة*، الذين وسمهم إلهنا الجليل ذاته بميسم *العرق الآري*، **يريدون ما لا يريدونه حقًا**، حسب عبارة شيلر؛ لان ما يريدونه وقد شغفهم حُبًا هو التحرير المطلق لضغينتهم، كيفما اتفق وعبر أي وسيلة قد تخدم أغراضهم.
إن تصوير النازية على أنها ليست أكثر من حقد ليس تبسيطًا جديدًا، فقد سبقه آخر أقدم (لا أنكر المُحاباة، ودعم مصنعي الأسلحة، الذين فيهم من ضغينة أكثر مما يُمكنك ان تتصور، كما لا أنكر بعض الإيجابيات *ولو كانت فتاتًا*) لكنه للحق، ليس سوى التفات عن المظهر، الذي يرزح تحت حجب من الزينة والبُهرُج، إلى الجوهر مستحكم الغلق، والأقل لمعانًا، والأخف تكدسًا بالدوافع. إذا كان لك أن ترجو خيرًا من المثقفين فهو أنهم لا يسمحون لأنفسهم للحظة بالانبهار بالزيف وسحر قرع الطبول، وأنهم متهيئون على الدوام لفضح الزور ولإعادة صياغة العبارات الرنانة بكلمات *عادية*. لذا، من الضروري أن نتفهم سلطة الضغينة على ثقافتنا بعمومها؛ لأن مقاومة العبارة بعبارة مضادة، وهو امر أساسي بالنسبة للصراع على السلطة بين الديمقراطية والنازية، يستحيل أن يُلزم المثقفين بشيء تجاه أندادهم من غير النقاد *بقية الشعب* بل يلجئهم أكثر إلى نوع من الانتهازية النقدية؛ وهذه الانتهازية النقدية هي علامة *ولائهم للديمقراطية*. إن إشكاليتهم الحقيقية:* كيف نفهم ونحكم الضغينة* تأتي تالية، لكن ليست بأسبق من الإطاحة بالضغينة *المحضة* من على عرشها، وليس قبل نفاذ حكم مزلزل يصدره التاريخ على *القادة* بقمصانهم

العسكرية.

---

4 Horde حشد أو عشيرة: مصطلح يختلف استخدامه العلمي حسب الموضع، وقد استخدمه دوركايم للدلالة على المجتمع القائم على التضامن الآلي، وللتفريق بينه وبين المجتمع الحديث الهيراركي القائم على التضامن العضوي، ويبدو أن تير براك قد حمّله هنا نفس الدلالة السلبية، والتشديد للمؤلف.

5 Ressentiment: كلمة فرنسية عادة ما استعملها الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه بمعنى الضغينة، ولم يُرد أن يستبدلها بمقابل ألماني، والضغينة في مصطلح نيتشه أساس القيم الأخلاقية السلبية، وهي كلمة لا تعبر عن شعور بالحسد أو الغيرة ولكنها تعبر عن نمط حياة مبني على كبت حياة الإنسان وغرائزه، في طاعة عمياء لما يُسميه أخلاق العبيد في المسيحية، مما يدربه على رفض كل ما هو نبيل وصحي. اما ماكس شيلر فقد طور مفهوم الضغينة، كما سيجيئ في نص المؤلف، ولكنه، في كتاب له بنفس العنوان، قد رفض أن يعتبر المسيحية أساسًا لأخلاق العبيد كما ذهب نيتشه. وإن كان هذا متوافق أيضًا مع المعنى العميق للمفهوم النيتشوي، إذ تذهب أغلب القراءات الحديثة لنصٍ نيتشه إلى أنه مجرد ملحد حديث أراد *قتل الإله* لكن نيتشه، وفي كتابه *جينالوجيا الأخلاق* يقول:* ثمة أنواعًا أكثر نبلاً من الاستعمال لاختراع- الآلهة غير صلب الإنسان وتدنيسه لنفسه* الأمر الذي يعتبره الفيلسوف التونسي فتحي المسكيني:* فكرة على قدر عال من الخطورة والطرافة الفلسفية: أن ثمة أنواعًا عدة من الدين، وأن الدين المسيحي لم يكن سوى الصورة الارتكاسية من التدين، وأن ثمة طرقًا أخرى للتأله ولاستعمال الآلهة في مغامرة الحياة على الأرض*. يُراجع: الترجمة العربية لكتاب نيتشه، جينالوجيا الأخلاق، ترجمة فتحي المسكيني، الصادرة عن المركز الوطني التونسي للترجمة، ٢٠١٠، ص١٢٩، وهامش ١. وقد آثرت ترجمة المسكيني *الضغينة* على ترجمة عبد الرحمن بدوي *الذَحل*، وإن كانتا تؤديان نفس المُراد.

6 Anton Mussert (١٨٩٤–١٩٤٦) واحد من قادة ومؤسسي الحركة النازية الهولندية، وقد أعدم بعد نهاية الحرب بتهمة الخيانة العظمى. (هامش من إعداد مترجم العمل من الهولندية إلى الإنجليزية بروفيسور روبرت فان كريكن).

7 Caste = طائفة أو فئة Estate = طبقة أو منزلة والكلمتان الأخيرتان قد استخدمتها لوصف النظام الطبقي الأوروبي منذ العصور الوسطى فصاعدًا إلى القرن الثامن عشر قبل شيوع كلمة *.class*

8 Volk en Vaderland
جريدة أسبوعية هولندية امتلكها أنطوان موشيرت وكانت منبرًا للحركة النازية الهولندية.

9 Maximilianus Victor Euge`ne Hubertus Josef Maria (Max) Count de Marchant et d'Ansembourg (١٨٩٤–١٩٧٥).
أرستقراطي كاثوليكي، وسياسي نازي، أصبح حاكمًا لمدينة لمبورج خلال فترة الاحتلال النازي. (كريكن).

10 عنصر مركزي من عناصر التفكير النازي اختلف المؤرخون حوله إذ يوصف بالأيدولوجيا تارة، وبالدعاية تارة أخرى. وهي كلمة تعني تصورًا جديدًا حول المجتمع الألماني، ينبذ الأديان القديمة والأيدولوجيات والفروق الطبقية وكل أشكال التفرقة أو حتى التميز، في سبيل تأسيس هوية ألمانية قائمة على التفوق العرقي والتوحد خلف القيادة النازية.

11 the beast الوحش؛ مجاز أثير في الفلسفة الأوروبية، والفلسفات ذات الجذور المسيحية بشكل عام، فقد استخدمه نيتشه – صاحب الأثر الأكبر على أفكار تير براك- ويقصد به الإشارة إلى الطبيعة *البرية* المتحررة المُحبة، والمُريدة، للحياة داخل الكائن الإنساني، وهي الطبيعة التي عملت المسيحية، حسب رأيه، على تدجينها عبر *التنسّك* وفرض سلطة الكهانة، وهو ما يقصد تير براك في نفس بالفقرة أعلاه بالمساواة السلبية، أي: المساواة التي تقتل روح الإنسان وتدربه على الاستكانة والضغينة في الآن نفسه. وهناك جذور كتابية لهذا المجاز، إذ ورد الوحش في بعض نصوص الكتاب المقدس التي تصور الوحش *خصما للإله في بداية العالم ونهايته، وهذا الوحش خاضع للشيطان، وينشطر عند الحاجة فيتولد مع *التنين المثلث الشيطاني* (سفر الرؤية ١٦/١٣) لكن هلاكه محتم (الرؤية ١٥/٢ و١٩ت) وهذا المعنى بالطبع هو ما قد قلبه نيتشه، وتير براك، رأسًا على عقب. وقد استمر مجاز الوحش في الظهور في الفلسفة والأدبيات الأوروبية إلى يومنا هذا، وهو ما تقصّاه الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا، في عمله الذي نُشر لأول مرة بعد وفاته، *الوحش وصاحب السيادة*، كما يظهر في العديد من الأدبيات الفلسفية الحديثة، في أعمال لاكان ودولوز وأجامبن وغيرهم.

12 On Old and New Christians

13 قادة إيطاليون لمجموعات من المرتزقة انتشروا في العصور الوسطى وساعدوا الطغاة في الحروب خلال عصر النهضة والحروب الدينية.

14 BAD CONSCIENCE.
الضمير المعذب/ الوعي التعيس أو الشقي: حالة الوعي الذي يُعاني تأنيب الضمير أو التشكك المزمن في شرعية الفعل الأخلاقية، وهو تعبير قديم لدى الأخلاقيين وفي اللغة الجارية، إلا ان نيتشه قد نشر استخدامه الفلسفي بمعنى أدق وهو أنه *تشويه مَرَضيّ* ينشره السادة لدى الآخرين ليضمنوا هيمنتهم عليهم، لكنه يعيد تأكيد نفسه، لا من خلال القهر أو السلطة فحسب، بل من خلال دوره في تأسيس ما يُسميه نيتشه بأخلاق العبيد التي تقوم على الاستكانة والاستسلام للتقشف، فهو يرتد كقسوة سلبية على الذات، نتيجة

لرفض إرادة الحياة، فيوهم العبيد بأن تعاستهم نتيجة مباشرة لذنوبهم، وذنبهم الأساسي، بالطبع، أنهم قد وُجدوا كآدميين. راجع: جنالوجيا الأخلاق، مرجع سابق. المقالة الثانية، الشذرة ١٩، والمقالة الثالثة، الشذرة ١٦.

15 Alfred Rosenberg (١٨٩٣–١٩٤٦).
مُنظّر أساسي للنظام النازي، ويحتوي كتابه Der Mythus des ٢٠. Jahrhunderts *أسطورة القرن العشرين* على التأسيس النظري لعقيدة التفوق العرقي الآري، وموقف النازية من *السؤال اليهودي*. كان نشطًا بشكل مكثف أثناء الحرب كوزير للمقاطعات الشرقية المحتلة، وأحد المخططين الرئيسيين لغزو النرويج والاتحاد السوفيتي. وقد حُكم عليه بالإعدام شنقًا بعد الحرب في محاكمات نورمبرج كمجرم حرب. (كريكن).

16 Doctrinaire
تطورت هذه الكلمة في القرن العشرين عن الكلمة الأكثر شهرة في القرن التاسع عشر doctrine = عقيدة أو إيمان أو مذهب. أما doctrinaire فقد حملت معنى سلبي يشير إلى العقيدة المجردة التي لا تربطها علاقة بالواقع، وهو تطور شبيه بما مرت به دلالة كلمة dogma في نفس الفترة تقريبًا.

17 مُضّطغن: اسم، مثل *مُضطرب، مُكتئب* واضطغن الشخص أي: انطوى على الأحقاد، كما في قول المتنبي:* لا أقْتَري بَلَداً إلاّ على غَرَرٍ، ولا أمُرّ بخَلْقٍ غيرِ مُضْطَغِنِ*.

18 Max Scheler (١٩٧٢) *١٩١٥* Ressentiment. Milwaukee: Marquette University Press, p ٨.

19 Quasi
شبه الشيء، فيُقال: quasi-contract = شبه عقد وquasi- American = شبه أمريكي. وقد استخدمت *شبه* في مثل هذه المواضع، أما حين ترد منفردة بصيغة الاسم، وهو استعمال فلسفي نادر ذو طابع شِعري، فقد استخدمت *كَزّ* والكز في اللغة: قليل الشيء وهيّنه، وقد وافقت عندي غرض الترجمة.

20 العملة الهولندية التي ظلت مستعملة من القارن الـ ١٧ وحتى عام ٢٠٠٢ عندما انضمت هولندا إلى منطقة اليورو.

21 Karl Anton Rohan (١٨٩٨–١٩٧٥)
أرستقراطي نمساوي رأى تقاربًا بين النازية والمسيحية، وناصر استقلال النمسا، ولكنه رحب أيضًا بالاجتياح النازي لبلاده عام ١٩٣٨ وشارك في الحزب النازي النمساوي، فلم يكن على استعداد أن يتخلى عن فكرته حول النمسا المستقلة وأوروبا المتحدة على أسس أرستقراطية مسيحية. (كريكن).

22 Schicksalstunde Europas (١٩٣٧)

23 Prinz Rohan, Karl Anton (١٩٣٧). Schicksalsstunde Europas *Europe’s Hour of Destiny*. Graz: Leykam-Verlag.

24 mystic

25 كان مفهوم *الطابع الزنجي* Negroization جزءًا من البروباجاندا النازية فيما يتعلق بالانحطاط العرقي لفرنسا، بسبب وجود الجنود الأفارقة ضمن وحدات الجيش الفرنسي، والذين اتُهموا بأفعال وحشية وجرائم حرب، وبسبب تجيع الاختلاط العرقي عبر أنحاء البلاد. وقد استُخدم هذا المفهوم للتهييج ضد اليهود الفرنسيين، بدعوى أنهم شجعوا على تزايد نسبة السكان من الأفارقة ليسهل عليهم حكم البلاد. يُراجع:
Scheck, Raphael (٢٠٠٦) Hitler’s African Victims. Cambridge: Cambridge University Press, pp. ١٠٦–٩.

26 بدأ الكساد في هولندا وانتهى بعد الولايات المتحدة، بين عامي ١٩٣٣ إلى ١٩٣٦. عندما اتبعت هولندا الحوكمة الفرنسية في التخلي عن معيار الذهب، مما أدى إلى انخفاض قيمة العملة الهولندية. (كريكن).

27 أعمدة معدنية تُنصب على البنايات العالية لالتقاط البرق ومنعه من الوصول إلى الأرض، والقصد أن كراهية اليهود أصبحت أداة لامتصاص الغضب العام وتشتيته، وإلهاء الناس عن الكساد الاقتصادي والفشل في إدارته.

28 شعار ثورة الفلاحين الألمانية في القرن الخامس عشر، وأصبح من بعد شعارًا مستخدمًا في العديد من الأحزاب النازية. (كريكن).

29 simplistic construction

30 Antithesis
نقيض الدعوى، وفي الفلسفة تقابل قضيتين إما بالتناقض أو التعارض، وعند هيجل نقيض الدعوى هو المرحلة الثانية من المنهج الجدلي.

31 Eenheid door Democratie (١٩٣٥–٤٠)
حركة سياسية معارضة للحزب للنازي الهولندي وللشيوعيين، تحت شعار *لا موشيرت ولا موسكو*. (كريكن).

32 (معونة الشتاء للشعب الألماني) وعرفت اختصارًا بـ WHW وكانت مبادرة سنوية للمنظمة (النازية لرفاه الشعب الألماني) للمساعدة في تمويل العمل الخيري، تحت شعار *لن يجوع أحد أو يتجمد* وقد بدأت المبادرة في عام ١٩٣١ من حكومة هينريش برونينج، إلا ان هتلر قد نسب فضلها لنفسه بعد ذلك. عملت المبادرة من ١٩٣٣ إلى ١٩٤٥ من شهر أكتوبر إلى شهر مارس،

وكان مخططًا لها أن توفر الطعام والملابس والفحم وأشياء أخرى للمواطنين الألمان الأقل دخلًا خلال أشهر البرد القارس. (كريكن).

33 Piet Hein *بحار ورائد استعماري وبطل شعبي هولندي* المعادل الهولندي للسير والتر رايلي *كاتب وجنرال بريطاني ومستكشف تعادل أهميته التاريخية لدى انجلترا أهمية فاسكو دي جاما في البرتغال*. (كريكن).

34 إشارة إلى أنطوان موشيرت *لتعريف قصير به راجع هامش ٧*

35 أسطورة تحكي عن ضفدعة تحاول – هباءً- أن تكون في حجم الثور لتنافسه.

36 comradeliness

37 وردت باللاتينية في الأصل servorum Populi servus

38 'Blubo'

هكذا في الأصل، وهي اختصار ساخر من الكاتب للشعار النازي 'Blut und Boden' حرفيًا: الدم والأرض/ التربة (التفوق والنقاء العرقي ووحدة الأرض).

39 benevolent